تلاحظون من هذا الموقف ان الحسين لم يشأ أن يخدع أحداً من أصحابه ليسوقه الى الحرب قسرا . وقد خبر أصحابه تلك الليلة اختبار القائد المحنك وعرف نواياهم فضرب بهم مثلا رائعاً في الطاعة والجهاد بين يدي الزعيم .

الموقف الثاني

لما وقف الحسين وحيداً بين الصفوف وقد قتل جميع اصحابه واهل بيته ، ولم يبق بينه وبين الشهادة الا فترة قصيرة من الزمن رأي ببعد نظره ان لا يترك أعداءه يقترفون جريمتهم بدون موعظة يعظهم فيها وان من الانصاف أن ينذرهم وخامة العاقبة في الدارين ويلقي عليهم الحجة فقال : « ان الدعي بن الدعي قد ركز بين أثنين بين السلة والذلة ، وهيهات أن أعطيكم بيدي إعطاء الذليل وأقر لكم إقرار العبيد ، (أما أفيم صدور مجدي بالقنا وتقر عيني أو تقوم نوادب) إنكم والله قد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فعلام تستحلون دمي وانا ابن بنت نبيكم . فأجابه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال : هذا جواب وعظك يا ابن فاطمة . فتم للحسين ما أراد فألقى عليهم الحجة ثم أخذ يبارزهم وقاتلهم قتالا شديدا حتى قال فيه أحد أعدائه : والله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل أهل بيته وأصحابه أربط جأشاً من حسين فقد كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها فتنتشر بين يديه انتشار المعزى اذا شد فيها الذئب .

لقد ضرب بموقفه هذا مثلا أعلى في الايمان والصبر والشجاعة والاباء رغم ما كان عليه من ضعف سببه نزيف الدماء ومن آلام تركها فراق الاحبة والاصحاب .

الموقف الثالث

لما جاء الحسين يودع نساءه وأطفاله الوداع الأخير أوصاهم بوصايا مختلفة واحدة واحدة ثم قال لاخته الكبرى يا زينب اذا أنا قتلت لا تشقي علي جيباً ولا تخمشي علي وجهاً . ثم نادى في تلك الساعة الرهيبة من يقدم لي جوادي ؟ فقامت أخته الكبرى فاسرجت له الجواد وألجمته ثم قدمته اليه ليركب ويعود الى جهاد أعدائه . وبهذا الموقف ضرب الحسين لنسائنا وبناتنا مثلا أعلى في الخدمة التي تستطيع أن تقدمها المرأة حتى في ساحة الحرب والجهاد فتفسد فراغاً قد يحدثه فقدان الرجل عند الشدة .

وبالاختصار

ان الحسين بن علي بما يملكه من مزايا عالية موروثة من البيت الهاشمي ، وبما أضاف اليها من مزايا سامية اختص بها هو نفسه ، استطاع أن يجعل من نهضته قوة وحقا بثها خالدين في الأجيال خلود الزمن وها لا شك سر عظمته وخلوده في التاريخ ؟

صبحه الجواد

فاجعة الانسانية

إن كنت لم تشهد تسامي النفوس ... وكيف تعلو في سماء الفخار
فقف بوادي الطف كما تري ... معتركاً بين العلا والصغار
معركة الطف تجلى بها ... ما كان مخفياً وراء الستار
كتائب الشرك التي جمعت ... اطرافها تحت لواء الشنار
لقد غزاها الدين في صارم ... لم يبق منها أثراً او شعار
قد لفظ الباطل انفاسه ... رعباً من الحق غداة استفار
كم حاول الباطل أن يصرع ... الحق وبأبي الحق غير انتصار
لبى نداء الحق سبط الهدي ... فذاع الجور ببيض الشفار
هب لتدعيم صروح العلا ... لما راها آذنت بانهيار
حتى قضى فوق صعيد الوغى ... تكسوه ابراد العلا والفخار
قضى ولكن ضل من بعده ... فبراس حق للبرايا انار
مسجلاً فوق سجل الخلود ... سطراً حوى اسمى المعاني الكبار
مهد للحر سبيل الاباء ... يقفو خطاه من على الظلم ثار
ذكرى صريع الطف لا تنقضي ... لم يمحها كر الدجى والنهار

عبد النبي الشربيني